هذه الحركة التي أخذت تضم عشرات الملايين من المكافحين من أجل السلم والتحرر الاجتماعي والوطني ، والى أي حد أصبح السلم سلاحا ماضيا تتسلح به الشعوب في كفاحها وتشل به تطاولات أعدائها .

هذه العوامل مجتمعة ، تعاظم قوة المعسكر الاشتراكي ، والطبقة العاملة العالمية ، وكفاح البلدان الوطنية وحركات التحرر ، والتناقض بين الدول الرأسمالية ، واتساع المشاركة النشطة لجماهير غفيرة في النضال ، وتزايد حجم ونفوذ حركة السلم العالمية، كل هذا ألجم تجار الحروب واضطرهم للتراجع . وليس في ذهن أحد بطبيعة الحال أن يتوهم حدوث تغير في طبيعة النظام الرأسمالي من جراء هذا التراجع ، ولا الايحاء بأن قضية السلم أصبحت مضمونة ولا يتهددها الخطر بعد الآن ، ولكن ليس من الصواب أيضا التقليل من أهمية ما استطاع النضال الدؤوب من تحقيقه في هذا المجال . فبفضل هذا النضال العنيد وما رافقه من نهوض ونمو في المقدرة ، أمكن فرض التراجع على الامبريالية واجبارها على الاخذ بعين الاعتبار حقائق العصر الجديدة . ان الزمن الذي كانت فيه الامبريالية تقرر مصير العالم قد ولى .

وهكذا انهارت سياسة الحرب البـــاردة وانتصرت ارادة السلام ، وتعمقت أزمة النظام الرأسمالي أكثر من ذي قبل . فالحرب الباردة التي طبعت العالم بطابعها خلال عقدين من السنين بعد الحرب العالمية الثانية قد باءت بالفشل . والاقتصاد الرأسمالي الذي وجد متنفسا في جو الحرب وسباق التسلح ، بات عليه أن يتخلى عن وتائر انتاجه وأرباحه العالية بعد أن تقلصت عنه العطاءات الحربية في ظل وضع الانفراج الجديد الذي أخذ يحل محل الحرب الباردة . فقد خفضت شركات مثل بوينج ولوكهيد وجنرال ديناميكس حجم التشغيل فيها بنسبة ٥٠ ٪ ، كما ان شركات أخرى مرتبطة كليا بالانتاج الحربي اخذت تفلس نتيجة عدم القدرة على الصمود ، ومنها مثلا شركة (بن سنترال) التي يبلغ رأسمالها العامل ٧ مليارات دولار(٢٢) .

لقد عبر الكثيرون من رجالات الدولة والفكر عن هذه الحالة الجديدة التي تمر بها الرأسمالية . فالعالم الالماني ستيرنبيرغ أشار الى انه « سيكون من الصعب على الرأسمالية ان تعيش في عام ٢٠٠٠ »(٢٣) . كذلك صرح تشير باولز رجل الدولة الامريكي قائلا « منذ عشر سنوات لم يتغير ميـــزان القوى السياسي والاقتصادي لصالحنا ، فالاقتصاد السوفياتي يتطور بوتيرة أعلى »(٢٤) .

وفي رسالته للكونغرس أشار نيكسون في حديثه عن المتغيرات في المجال العالمي الى « نهاية التفوق الذي لم يكن ينازع في القوة الاستراتيجية الاميركية، وبـــروز ميزان استراتيجي نووي جديد يحتل فيه كل من الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة نسبـــا متقاربة »(٢٥) .

ان نكسون في رسالته لم يكن صريحـــا بالقدر المطلوب ، فهو لم يشر الى حقيقة المتغيرات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية على النطاقين المحلي والعالمي ، ولا الى دوافعها وأسبابها والنتائج المترتبة عليها . انه اكتفى بحصر المتغـــيرات في القـــوة الاستراتيجية الامريكية التي اصبحت بنسب متقاربة مع الاتحاد السوفياتي بعد ان كانت تتمتع بالتفوق المطلق ، أي ان توازن الذعر النووي هو الذي فرض الاتجاهات الجديدة في السياسة الامريكية . وهذا ليس حقا .

ان توازن الذعر النووي هو أحد الكوابح ضد الحرب بلا شك ، ولكنه ليس الكابح الرئيسي ولا الوحيد . ان تنامي القدرة في شتى المجـــالات والاوجه لدى المعسكـــر الاشتراكي بالدرجة الاولى ، وكل العوامل والمتغيرات التي سبق ذكرها ، هي التي